ومن الثاني من الثمر ما هو كذلك وفي هذه الحالة اعجب فاعله يأتي
فقول الشارح اذ فيه ضمير للحب والنوى وان فاعله سنابل سهو
منه اذ كيف يتصور في فعل ان له فاعلين ضميرًا ظاهرًا في حالة ولحظ
الزراع والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفا كسرابيل تقيكم
الحر اي والبرد وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب
والغارس للنوى وعود السنابل للاول والزكا للثاني منها اي من
تلك الزرع والاشجار سنابل وزكاء اي نمو يفوت الحصر بحيث
لو اجتمع اهل الارض على استقصاء عدد ها لما اطاقوه فقد علمت
ان المتناهي هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القران
هي متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا
المثال المراد به التقريب لا غير كما عرف مما مر والافتيات
ما بين الامرين الا ترى اذ عدم التناهي تلك الحبوب والثمار
انما هو في مدة قليلة ثم تفنى عن قرب واما تلك الحروف فان معانيها
لا تتناهى في الدنيا ولا في الاخرة ففي الحديث الصحيح انه يقال
للقارئ في الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وبه
يعلم انه يقرا ويتلذذ بالقراة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها
وبما يفتح الله به على القرا من انواع المعارف اللايقة بتلك الدار
وتلك الذوات التي تمر فيها التاهل وذلك امر لا يتناهى
ابدا ومن عجيب شان الكفار المصر مع هذه المعجزات والايات
البينات كلها انسمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار
فاطالوا فيها التردد والريب اي الشك عطف على مرادف فقالوا
كما حكاه الله تعالى عنهم في كتابه العزيز فهو تلميح مرة انه سحر
اي تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كلما لطف ماخذه ورق

وقالوا

١٠٢١

وقالوا مرة اخرى انه افتراء اي كذب ومرة اساطير الاولين الى
غير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتتهم وتلبيسهم وتمثلوا
فيما قالوا والله المتفضل بانزاله قران مجيد في لوح محفوظ
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
وكذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد وانهم لا عقل لهم ولا
راي ولا استعداد ولكن ليبين ذلك نكتبه على من عدم التوفيق
ولم يبصر سوء الطريق لما هو مقرر في العقول السليمة من الحكم
البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات اي الحجج القطعية
البرهان الواضحة لم تغن هم اي لم تفدهم شيئا من الهدى
فالتماس الهدى لهن اي طلبه منهم بتلك الحجج بعد الياس من
ايمانهم عنا اي تعب لا يفيد شيئا واذا ضلت عن طرق الحق
العقول جمع عقل وسبق الكلام عليهما مستوفى على اي مع علم
منها بتلك الطرق اي اضلها باريها فماذا تقوله اي فاي قول
تقوله الانبيا النصحاء وقولهم حينئذ لا يفيد شيا والبيت
الاول مقتبس من قوله تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم
لا يومنون والثاني من قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه
واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ومما قررت به كلامه يعلم
ان هذين البيتين من الكلام البديع الجامع تنبيه
لا يتوهم من النظم انه مخالف لقول الائمة اجمعت الامة على
التكليف بالمحال كغيره كتكليف ابي جهل مثلا بالايمان مع علم الله
تعالى بانه لا يومن وذلك بان التكليف بذلك انما هو بالنظر
للحالة الراهنة المنطوي عنا عاقبته فهم بالنسبة اليها مكلفون

فاذا البينات لم تغن شيئا
فالتماس الهدى لهن عناء

واذا ضلت العقول على علم
فماذا تقوله النصحاء

علي صح

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)